الجامعة الأردنية

مركز البحوث والدراسات الاستراتيجية

تأثير التسامح الثقافي على منظومة القيم في الوطن العربي

دراسة مقدمة لمؤتمر الباحثين الشباب العرب

الأردن (٢٩ – ٣٠) أبريل ٢٠٠١

علي برغوت

البرنامج العربي لنشطاء حقوق الإنسان/القاهرة

٣١ مارس ٢٠٠١

ملخص

تأثير التسامح الثقافي على منظومة القيم في الوطن العربي

علي برغوت

تأثير التسامح الثقافي على منظومة القيم في الوطن العربي هي ورقة بحثية تسعي لوصف وتحليل مفهوم التسامح وعلائقه المتباينة بمختلف المتغيرات المجتمعية سواء ما يتعلق منها بالموروث — العادات والتقاليد - أو المعتقد ، وتأثير غياب التسامح على إفراز أدواء نفس اجتماعية كالتعصب مثلا ، وتأثيرها على مدى قابليتنا لمجمل الآخر ، كما تناولت الدراسة الأسس المختلفة للتسامح كالدين والأخلاق والفلسفة ، وحاولت الإجابة على أسئلة تتعلق بنسبية الارتباط بين التسامح وصدام الحضارات ، ثم تطرقت لعلاقة المجتمع العربي ضمن مفهوم التسامح بالثقافات المغايرة ، ثم حاولت الدراسة بعد محاولتها تفسير الظواهر المختلفة ذات العلاقة حاولت التنبؤ بواسطة طرح رؤية استشرافية لمستقبل الأمة العربية وطبيعة ما يمكن أن يؤول إليه تعاطيها مع الآخر .

وتكونت الدراسة من ثلاثة مباحث ومقدمة كانت كالتالي:

تمهيد: تسامح ، تعصب ، قبول الآخر.

الأسس الدينية والفلسفية والأخلاقية للتسامح .

المبحث الأول: دور التسامح في التعامل مع التباين والصدام الثقافي بين الشعوب.

المبحث الثاني: قدرة المجتمع على استيعاب المعارضة والاختلاف واحترامهما .

المبحث الثالث: رؤية استشرافية لمستقبل الأمة العربية في ظل دور التسامح الثقافي.

تمهيد

تسامح ، تعصب ، قبول الآخر

لعله من الأهمية بمكان ، التعرف على مفهوم التسامح ؛ إذ أنه يختلف إلى حد ما في العموم عما هو متعارف عليه في الأوساط البحثية :

تحمل كلمة التسامح مفارقة بين المعنى لغةً والمدلول الاصطلاحي العصري ، فلغةً تعني السخاء من موقف استعلاء ، أي أن المتسامح في مستوى أعلى والمتسامح معه في مستوى أقل كما تعني الموافقة والقبول والتساهل والجود والعفو وتخلي صاحب السلطة عن ممارسة سلطته ؛ أي أنه يتنازل أمام الآخر ، والمعنى في ذلك أو الهدف هو التعبير عن التهذيب والرفعة أو هو المرونة التكتيكية لاحتواء خلاف ما . (١)

مما جعل العديد من المفكرين والفلاسفة يستنكرون استخدام كلمة تسامح في مدلولها اللغوي للدلالة على فكرة التسامح العصرية كاصطلاح (٢) ذلك أن مفاهيم التسامح أخذت حديثاً ترتبط بمفاهيم أخرى مثل الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان وغيرها ... والتسامح أيضاً في مفهومه الكلاسيكي مجرد سلوك ذاتي اختياري ، ولعلنا نلاحظ قصورا في هذا المفهوم مما أدى لضرورة إعادة النظر في مفهوم التسامح وفقاً للمتغيرات المعاصرة التي نعيشها الآن (٣) ، -نظراً للتشابكات والتعقيدات السياسية و الاجتماعية المستمرة - فكان لسيادة الفكر الليبرالي - التحررية - ببعديه السياسي والاقتصادي دور بارز في إكساب التسامح معان جديدة منها:

- أن التسامح يدل على كل ما يمكن أن يمارسه الأفراد والجماعات سواء بسواء في ظل مبدأ المساواة ، فلا يوجد هناك من هو في مستوى أعلى وآخر في مستوى أدنى ، إذ أن مفهوم التسامح أصبح ينطلق من مبدأ المقابلة والندية والقوة فلا يتسم المتسامح بالضعف بل يتسامح من موقف قوة .
- أن التسامح يدل على طاقة المجتمع وقدرته على استيعاب المعارضة والاختلاف واحترامهما ، وفي ذلك دلالة على مرونة المجتمع تجاه الآخر وقبوله أياً كانت معتقداته وتوجهاته وثقافته وأفكاره التي يحملها ، على أساس التكافؤ برغم الإيمان بقوة المعتقد .
- أن التسامح يعتمد على حق الإنسان في أن يكون ذاته (٤) ، فبدون الإيمان بالذات يصبح هناك شكٌ في إطلاق التسامح على صاحبها لأنه يكون في موقف ضعف مقابل الآخر .

تمت ترجمة كلمة Tolerance إلى العربية بمعني التسامح ولكن د. ميلاد حنا يؤكد أن عبارة قبول الآخر هي الترجمة الأفضل والأقرب إلى المفهوم السليم (٥) .

---

(١) ناجي البكوشي ، التسامح عماد حقوق الإنسان ، ص ٨.
(٢) محمد الطالبي ، التسامح الديني والتفاهم بين المعتقدات، ص ٤٤.
(٣) ناجي البكوشي ، التسامح عماد حقوق الإنسان ، ص ٨.
(٤) احلمي سامح ، لحداثة أخت التسامح ، ص ١٨.
(٥) ميلاد حنا ، قبول الآخر ، ص ١٢.

أما ما جاء في تعريف التسامح لغةً – الموافقة - فإنه يتنافى تماماً مع المفهوم المعاصر للتسامح الذي يقوم على التكافؤ والندية وبشكل آخر : كيف أوافق على شئ لم أقبله في الأساس ولم أقتنع به في الوقت الذي من الممكن فيه أن أتساهل أو أقبل فكرة تتنافى مع ما أعتقد به ؟ فالموافقة تعني الإذعان أي دونية الذات تلك التي تعني اهتزاز الشخصية ؛ لذلك فإن

التعريف الاصطلاحي للتسامح يعتبر أكثر صحةً ، ويتفق الباحث مع د. ميلاد حنا في التعبير عن التسامح بمصطلح قبول الآخر .

التسامح اليوم أصبح ضرورة يتسم بها المجتمع الحديث ، بكل التعقيدات التي يعايشها ، كما أصبح من الواجب على الفرد أن يتسامح تجاه الكثير من الأمور فيقبلها ويتفق مع ذاته إزاءها ؛ وإلا فإنه سيتعرض للاتهام بعدم تسامحه ، مما يؤدي لوصفه بالتعصب ، الذي يعتبر إحدى معيقات قبول الآخر إن لم يكن المعيق الأساسي له إذ أن " أبرز خطر يتعرض له التسامح يأتي من قبل أولئك الذين لا يتسامحون وأولئك الذين يحاولون نشر أيديولوجيات اللاتسامح : تلك الأيدلوجيات التي تطرح ذاتها كحقائق مطلقة بمعنى أنها تعتبر المغايرين مجرمين " ([١]) ؛ وهذا ما يُطلق عليه التعصب ، ولا توجد تسمية لتلك الأيدلوجيات أكثر مناسبة من هذا المصطلح والذي يعني – التعصب - : ميل انفعالي وشعور بالكراهية والعدوانية حيال أفراد أو جماعة معينة لمغايرتها وتباينها فكريا .

ويذكر ان المتعصب ليس مستقل الرأي فهو يميل دائما إلى التقليد ؛ لأنه في الأصل امتداد لقوالب وأنماط جماعته ، وهذا يعتبر قصور في التفكير . ([٢])

" كما أن التعصب هو نقيض التسامح ؛ نظراً لما يتركه من آلام وأحزان وخراب ، ونظراً لما يرسيه التسامح من توادد بين الناس وتفاعل في الأفكار والمعتقدات وإثراء للإنسانية وسعادة للفرد والمجموعة "([٣])

والسؤال إذا :

ما هو السبيل أو ما هي أقرب الحلول المقترحة للقضاء على التعصب أو التقليل من وطأته ؟

يقول مراد وهبة " أن هناك ثمة محاولات جادة للتغلب على التعصب ؛ وذلك بنقده في مستوى الوعي بيد أن هذه المحاولات محكوم عليها بالفشل في أغلب الأحوال ؛ فهي لا تكشف عن الخلفية الحقيقية للتعصب أي قوى اللامعقول الخفية أو الممنوع القابل للتعدد والمنحدر من اللاوعي الجمعي " ([٤]) ، ويرى الباحث أن اللاوعي الجمعي هو تراكم معرفي لا تخضعه الشخصية التقليدية للبحث والتقصي ؛ رغم ما يحتويه من التناقضات والسذاجة ، بحكم كونه نتيجة لطريقة تفكير قديمة ترتبط بزمانها ومكانها وإنسانها القديم ، غير أن مرور أزمان طويلة عليه ، حولته لتابو أو طوطم يحرم الاقتراب منه سوى للمزيد من الخضوع والتقديس ، والمعضلة تبدو أكثر تعقيدا عندما يأخذ هذا التراكم المعرفي حيزه من اللاشعور او اللاوعي ، إذ لا نحتاج في علاجه لاثارة بدائل

([١]) كارل بوبر ، التسامح بين شرق وغرب ، ص ٧٥.
([٢]) تعصب تسامح مواقف في الفضيلة والأخلاق (مقدمة الكتاب) .
([٣]) ناجي البكوشي ، التسامح عماد حقوق الإنسان ، ص ١١.
([٤]) مراد وهبي ، التسامح الثقافي ، ص ١٤.

فكرية أكثر منطقية ؛ بل لآليات نفسية تكون من القوة بحيث تعبر إلى اللاشعور الجماعي وتخاطبه لتحقيق ما نصبو له من اهداف ، أما التعصب وعلاقته بحاملي هذا النوع من الأفكار ، فهو لا يكمن في علاقة التقليدي بما يحمل ، بل في ذات ما يحمل ؛ أي أن المشكلة في أن ما يحمله من معتقدات تطرح نفسها كحقائق مطلقة في ذاتها غير قابلة للتأويل .

وهناك من يرى أن الدين سبب أساسي للتعصب ، وفي اعتقاد الباحث أن هذا ليس صحيحا ، وإنما تتباين قوة هذا الادعاء وضعفه باختلاف الخطاب المتبني للدين ، فثمة دينيون يعكسون الحقيقة التسامحية للدين ، فيما يعكس آخرون نظرة مغايرة مناقضة ؛ غير أن النظرة الدينية السائدة تؤكد أن الدين لا يدعو فقط للتسامح وإنما يحث عليه ويكافئ ذويه .

ومن ناحية أخرى " فإن نجاح العلاقات الإنسانية يعتمد على مدى استمتاع الفرد بعلاقاته الإنسانية وقدرته على إنشاء هذه العلاقات بصورة ناجحة مع الآخرين ، أي أن تتوفر لديه المرونة الكافية لتعديل أدواره في علاقاته مع الآخرين على ان يتم ذلك في سماحة ويسر " ([1]) ؛ ذلك أن الفرد لا يعيش منعزلا بل يتفاعل مع الآخرين أياً كانت طبيعة هذا التفاعل ، فقد يكون تفاعلاً إيجابيا أو قد يكون تفاعلاً سلبياً (تسامحياً أو تعصبياً) .

الأسس الدينية والفلسفية والأخلاقية للتسامح

التسامح والأديان

إن التسامح متجذر في التاريخ على الرغم من الانتكاسات العديدة التي تعرض لها عبر العصور ، كما أن التسامح لا يرجع إلى حضارة بعينها أو دين معين أو طائفة دون أخرى ، وأبرز الانتكاسات التي تعرض لها التسامح على مر العصور بدأت تؤرخ منذ الحقبة اليونانية فقد كان التفكير اليوناني حرا في التفكير في الكون كما يحلو له ، وكان حراً في رفض التأويلات التقليدية وكان حرا في البحث عن الحقيقة غير مقيد من أي سلطة خارجية ، ومع ذلك فقد أعدم أرسطو وقيل لبروتاغوراس بأن يطرح أفكاره في المحكمة .

وفي الحقبة المسيحية كان التعصب الديني سائدا ، فقد تنوعت محاكم التفتيش منها الملكية في أسبانيا والمقدسة في روما وفرنسا ، تلك التي أحرقت جان دارك بسبب أفكارها وجيور دانو برونو .

وفي الحضارة الإسلامية انقسمت المعتزلة إلى عشرين فرقة ، وكل فرقة كفرت الأخرى وكفر الغزالي كل من الفارابي وابن سينا واتهم بن رشد بالإلحاد ، فأحرقت كتبه لأنه دعا فيها إلى تأويل النص الديني .[2]

كل ذلك كان يحدث في الوقت الذي تعلن فيه كل الأديان عن تمسكها بالتسامح ، وذلك على الرغم مما عرفه التاريخ اللاحق لها من حروب دينية ضارية كالحروب الصليبية والحروب بين الملل والنحل في صلب الدين الواحد ، علماً بأن جل هذه الحروب كانت حروبا سياسية مقنّعة ، اتخذت من الدين ذريعة ؛ لتحقيق أهداف بعيدة كل البعد عن أخلاق الدين .([3])

([1]) محمد عبد المنعم نور ، العلاقات الإنسانية ، ص ٣٦-٢٧ .
([2]) مراد وهبة ، التسامح الثقافي ، ص١١.
([3]) محمد العشماوي ، الإسلام السياسي ، ص١١٢-١١٣.

إن إقرار مبدأ التسامح بين الأديان ، سيترتب عليه بالضرورة تفاهم بين الأديان وقبول متبادل على الرغم من إيمان كل ديانة بالتمايز عن الأخرى ، كما يسمح بحق الاختلاف في الدين الواحد :

فالدين الإسلامي أقر التسامح باعتبار أن أحد مبادئه الأساسية (لا إكراه في الدين) ، كما كفل الإسلام حرية العقيدة لغير المسلمين ، وإتاحة حرية التعبد لهم دون قيود ؛ وبالتالي عدم إكراههم على اعتناق الإسلام ، مثل: عقد الذمة ، الاعتراف بالمسيحية واليهودية واحترامهما ، تعدد المذاهب الدينية في الإسلام.

أما الديانات الأخرى ، مثل: المسيحية فإنها معهودة في دراسة الفكر السياسي بأنها لم تأت لنفي الديانات السابقة ، ففي جملة تنسب لسيدنا المسيح ، قال: " لم آت لتدمير القانون إنما لإتمامه " ، ومن غير العسير البحث عن مقولات في الإنجيل والتوراة للدلالة على أن اليهودية والمسيحية تقران التسامح .([١])

وقد اعتبر جون لوك أن التسامح هو الحل العقلاني الوحيد ، للخلافات والصراعات والحروب الدينية ([٢])

فلسفة التسامح والأخلاق

بدأ التسامح يخرج من دائرة الفرد ، كما بدأ يتحول من مجرد فضيلة شخصية إلى قيمة قانونية محمية ، ذلك أن التسامح أصبح يعتبر ركيزة النظام الديمقراطي بعد أن اهتم الفلاسفة والمفكرون المعاصرون مثل جان جاك روسو وستيوارت ميل ومنتسيكيو و فولتير وغيرهم ، بموضوع التسامح ([٣]) وكان لهم إنتاجهم الفكري الغزير في هذا الموضوع مما ترك أثراً عظيماً على أسلوب وفلسفة الحكم ، فقد كان لإسهامات هؤلاء الفلاسفة وغيرهم دوراً في عملية التحول الاجتماعي والسياسي في أوروبا . "وبناءاً على ذلك فقد تغير مجرى التاريخ وتغيرت العلاقة بين الدول منذ أن كان هناك إقرار بالآخر ، والاعتراف للغير بنفس الحقوق التي نتمتع بها نحن ، كما أقر الإنسان بنسبوية أفكاره ومعتقداته ، وبدأ الإنسان يقر بانعدام العصمة لديه ، واكتشف أن عليه أن يعترف اعتراف الند بالند لغيره بكامل الحقوق الحريات".

ان للتسامح أسسا أخلاقية تنشأ على أساسها ، ولا يمكن أن تنفصل عنه بأي حال من الأحوال ، وهو أيضاً فضيلة يسعى الإنسان للتمتع بها والارتباط بها ليس ذلك من قبيل التعاخف والتسامي على الآخر ؛ إنما من قبيل الإيمان بحقوق الآخر وواجباته الأخلاقية والإنسانية نحوه " أصبح من السائد اليوم أن التسامح واجب أخلاقي وأن الفرد لا يمتلك الحق الأخلاقي في ألا يكون متسامحاً ، وهو ليس حراً في أن يسحب تسامحه " . ([٤])

وعليه فإن التسامح بالنسبة للإنسان السوي ليس مجرد قيمة من الممكن أن يستخدمها متى شاء ويتركها متى شاء أو أن يسحب تسامحه متى يشاء ، هذا لأن قيمة التسامح تنبع عند الإنسان من

([١]) ناجي البكوشي ، التسامح عماد حقوق الإنسان ، ص١٤.
([٢]) جون لوك ، رسالة في التسامح ، ص ١٨.
([٣]) ناجي البكوشي ، التسامح عماد حقوق الإنسان ، ص١٧.
([٤]) بيتر ب. نيكلسون ، التسامح بين شرق وغرب ، ص ٤٠.

مدى إيمانه بحريته وخصوصيته وحرية الآخر وخصوصيته ؛ لذلك فإنك تجده يحافظ على القيم الاجتماعية والإنسانية حتى لو كان ذلك على حساب حاجاته الشخصية في بعض الأحيان "فإنه ليس من الصعب فهم الأفراد الذين لديهم استعداد للتضحية بحاجتهم الأكثر أهمية مقابل حاجة أقل أهمية على مستوى رمزي اجتماعي أعلى" ([1]) أيضا " ترى أشخاصا ناضجين يتنازلون عن تحقيق العديد من مصادر السعادة الشخصية لصالح الآخرين ..." ([2])

كما أن " التسامح يعتبر مكوناً أساسياً من حرية الشخص ، بل ركناً من أركانها ، ومهما يكن فإن التسامح لا يعتبر تقليصاً لحرية الفرد الذي يجد نفسه مجبراً على أن يكون متسامحاً ، ليس من قِبل آخر فهو مجبر على التسامح بدافع أخلاقي وأدبي - الفضيلة داخل الإنسان - " .([3]) وقد عبر فولتير بشكل لطيف عن مدى ضرورة إجبار الفرد لنفسه على التسامح إذ قال " كلنا ضعفاء وميالون للخطأ ، لذا دعونا نتسامح مع جنون بعضنا البعض بشكل متبادل ، لان ذلكم هو المبدأ الأول لقانون الطبيعة "([4])

انطلاقاً من قاعدة المساواة بين الأفراد وحقهم في الحرية والعدل ؛ فإن التسامح يصبح واجبا أخلاقيا "فليس من حق أي شخص بأي حال من الأحول أن يحقد على شخص آخر ؛ لأنه ينتمي لجماعة تتعارض معه ثقافيا أو اجتماعيا أو دينيا أو عرقياً فكل هذه الحقوق هي امتيازات للشخص من حيث هو إنسان ، وهذه الحقوق ينبغي لها أن تكون محفوظة ولا تنتهك . " فلا يجب أن نقتنع بوضع معايير ضيقة للعدالة والمحبة والإحسان ولا يجب أن نقصرها على فئة دون الأخرى بل يجب أن نؤكد دائماً على السماحة .[5] لأن العلاقات الإنسانية بدون إبداء روح التسامح تجاه الآخرين تبدو أكثر تعقيداً وصرامة ، وقد تسودها روح التعصب والعنف في أحيان أخرى ؛ لذا يجب علينا أن نضع مشاعر وأحاسيس الآخرين في قمة سلم أولويات تعاملنا معهم وتليها الخصائص الاجتماعية " . . . " لأن العلاقات الإنسانية تعتمد في التعامل مع الآخرين على الخصائص الاجتماعية والنفسية للأفراد التي من ببينها احترام شخصية الآخر وإعطاء ما يبديه من آراء وأحاسيس وأفكار ومعتقدات القسط الوافي من الاهتمام ([6]) "كما أن حرية الشخص تعتمد على الاعتراف بكرامته والأخذ بالنظرة التكاملية الواعية فيما يتعلق بشخصية الإنسان ومشكلاته والتسليم بأن للأفراد حقوقاً يجب أن تراعى وتحترم" ([7])

([1]) جيرارد إ. نيرنبرغ ، أسس التفاوض ، ص ١٣٥.
([2]) جيرارد إ. نيرنبرغ ، أسس التفاوض ، ص١٣٦
([3]) ناجي البكوشي ، التسامح عماد حقوق الإنسان ، ص١٧.
([4]) كارل بوير ، التسامح بين شرق وغرب ، ص٧٦.
([5]) مراد وهبة التسامح الثقافي ، ص ٣٢.
([6])محمد عبد المنعم نور ، العلاقات الإنسانية ص ١٥٠ .
([7]) محمد عبد المنعم نور ، العلاقات الإنسانية ، ص ١٤٦.

المبحث الأول:دور التسامح في التعامل مع التباين والصدام الثقافي بين الشعوب.

تمهيد

إن الحديث عن التسامح يعتبر معالجة لقضية تمدين المجتمع ، إذ يعتبر التسامح من بين أهم القيم التي يجب أن يتمحور حولها التنظيم السياسي والاجتماعي الحديث ، كما يعتبر المحرك الفاعل في إرساء نمط المجتمع الدولي في عالمنا اليوم ، هذا العالم الذي أصبح قرية كونية تتزاحم وتتشابك فيها الثقافات والمعلومات أيضاً ، وفي نفس الوقت تهدد الهويات والخصوصيات الثقافية .([1]) وامتلاك الدول المتقدمة لمقدرات الاتصال الكونية أو سيطرتها عليها بشكل أو آخر ، جعلها تسعى إلى تنميط العالم بنمط ثقافي هو أقرب ما يكون إلى الثقافة الواحدة ، فأصبح النمط الثقافي والاجتماعي للبلدان المتقدمة يهدد هويات عديد من القوميات الأخرى التي كثيراً ما تشعر بالضعف والعدوان الثقافي على مقدراتها الثقافية من قبل الآخر . إن جزءا لا يتجزأ من الإقرار بحرية أي طرف ، ليتمثلُ في الاعتراف بحق كل طرف في التعبير عن نفسه بحرية ، أي الاعتراف بحرية الآخرين ومن ثم بوجودهم ، وبعد الاعتراف بالآخر منطلقا من الإقرار بنسبية كل فكرة وكل وجود - فلا وجود للكليات أو المطلقات أو المسلمات -.

ويعتبر الدكتور محمد السيد سعيد أن قضية المطلقات والمسلمات هي آفة الثقافة العربية - قديما وحديثا- حيث بدا عليها وكأنها تنهض بحمل الحقيقة المطلقة ونفي الآخر الفكري والسياسي والديني والقومي والطائفي وغير ذلك ، ومن ثم فإنها تورطت في الحض على العنف تأسيساً على أن الحقيقة لا تطيق الزيف ، فهي تتجسد على حساب اقتلاع الحقائق المنافسة وليس من خلال الصراع السلمي ، أو حتى إبداء نوع من التسامح ناحيتها ، ولعل استمرار تلك النزعة في إنكار الآخر تمثل نزعة مضادة لكل تطور فكري أو علمي أو معرفي ؛ ذلك أنها تدفع باتجاه احتكار ساحة المعرفة ذاتها ؛ وهذا يؤدي في النهاية إلى الفقر المعرفي والفراغ السياسي ([2]).

ويرى الباحث أن ذلك يؤدي ايضا للتكور والتمركز حول الذات ، دون محاولة الاستماع لما يقول الآخر ، ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل اصبح أي فرد يأتي بما لا يتفق مع ما تحمل الجماعة من معتقدات ، محلاً لاتهامه بالتشويش والخيانة الفكرية ، بالاضافة لعزو أي صفة سلبية خاصةً ما يتعلق منها بالضعف والوهن الفكري ، لحقل الآخر ، وكأنه هو الفيروس الذي يفترض تجنب ومحاربة امتداداته بأي شكل ، ومن هنا اصبح الآخر بمثابة الحاوية التي يمكن إلقاء كل الزوائد الغير مقبولة فيها .

كما ان تناول قضية التسامح الثقافي يستلزم بالضرورة تناول قضية التعصب فقد آن لنا ان نخوض في هذه المسألة ونقف أمامها كثيراً ، فنحن مكلفون بمهمة التفكير نقديا في قضية هي ليست جديدة ولها أهمية خاصة في العالم الحديث لسببين :

الأول: ان التسامح الثقافي يتجاوز التناول التقليدي للتسامح على أنه ديني فقط .

([1]) ناجي البكوشي ، التسامح عماد حقوق الإنسان ، ص٧.
([2])مجلة العربي ، مقالة للدكتور محمد السيد سعيد ، العدد ٤٩٤ يناير ٢٠٠٠ ، ص ٤٤-٤٥ .

الثاني : ان للتسامح الثقافي دوراً بارزا ومؤثرا في حضارة المجتمعات .[1]

لم يعد التسامح مجرد سلوك ذاتي اختياري وإنما أصبح أساساً للمنظومة الفكرية الليبرالية ، كما أصبح أساساً للتنظيم الاجتماعي والسياسي في المجتمعات الغربية ؛ ذلك أن الحكومات بدأت تتسامح مع الفرد نفسه فقد تقبلت مواخنته ، وأقرت مشروعية جديدة للحكم ، غير المشروعية الثيوقراطية أو الوراثية ، ومنها بزغت أنوار مشروعية الإرادة العامة . ([2])

والسبب في ذلك في اعتقادي هو التحولات العالمية المتلاحقة ، من كل النواحي العلمية والثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية. . . ، وذلك بعد أن تحررت جميع هذه المتغيرات أولاً من سيطرة الكنيسة ومن بعدها الحكومات السلطوية في أوروبا ، أما في الشرق فما زال هذا التحول يسير بخطوات بطيئة جداً.

والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو : هل لا بد من إرساء مبدأ التسامح على الصعيد العالمي للحد من العداء الموجه لبعض الثقافات ؟

للإجابة على هذا التساؤل لا بد أولاً من التعرف على مفهوم التسامح عند كل الأطراف المعنية في هذا الموضوع وهم : الفرد ، المجتمع ، الدولة ، المجتمع الدولي.

أولاً : الفرد والتسامح :

الفرد يتسامح بلا حدود نحو جل ما يرد إليه من محتويات ثقافية تتفق أو تختلف مع إطاره المرجعي أو تختلف مع معاييره الثقافية ؛ لأنه بطبعه يسعى للتعرف على كل ما هو جديد ومثير ، كما أن وجودنا مناط برضانا عن وجود الآخرين بما يحملون من ماهيات من المفترض أن نسعى للاتفاق مع ذاتنا حيالها .

ثانياً: المجتمع والتسامح :

المجتمع يحاول ضبط وتقييد قيم التسامح اللامحدودة عند الفرد ، نحو الثقافات الوافدة ويعمل على تحييدها دون الخوض فيها بدعوى الحفاظ على قيم المجتمع الثقافية ، وأعتقد أن هذا المفهوم في كل المجتمعات على حد السواء بغض النظر عن مدى تقدم أو تخلف المجتمع .

الدول المتقدمة والتسامح : تدعو للتسامح الثقافي لأنه أصبح لديها إحدى القيم التي تسعى لتعزيزها على المستوى العالمي لأنها بذلك تحقق رواجاً مضموناً لثقافاتها وبالتالي تحقيق مكاسب حضارية .

الدول النامية والتسامح : تخشى من التسامح الثقافي لأنه أصبح يهدد مقدراتها الثقافية ، ولأنها تعتبره اختراقاً لمجتمعاتها ؛ إلا أن الدول النامية لا تدرك أن "اكتشافنا لخصوصيات الثقافات الأخرى يقترن به اكتشافنا لخصوصيتنا الثقافية مما يجعلنا ننظر بمزيد من الاحترام لثقافتنا ويوصلنا إلى قناعة بأن استبدال ثقافتنا بأخرى فيه هلاك لنا وعذاب " ([3]) هذا على الرغم من وجود

([1]) مراد وهبة ، التسامح الثقافي ، ص١١.
([2]) ناجي البكوشي ، التسامح عماد حقوق الإنسان ، ص ١٠.
([3]) مجلة العربي ، ص ١١١.

العديد من العيوب في ثقافتنا وهذه العيوب لا توجب علينا الشعور بالتخاذل أو الانكسار فكل ثقافة فيها الخصال الجميلة والقبيحة معاً وكل ثقافة فيها الجيد والسيئ .

رابعاً: المجتمع الدولي والتسامح :

ولا شيء يعبر عن رؤية المجتمع الدولي للتسامح أكثر من إعلانه للعام ١٩٩٥ عاماً للتسامح بكل أشكاله الثقافية والاجتماعية والسياسية ... وكان الهدف من وراء هذا الإعلان تحقيق العدل والمساواة في أرجاء العالم.

أما على مستوى الدولة الواحدة ، فإن الحاجة إلى التسامح في تزايد لإرساء المجتمع المدني كمجتمع تعددي يضمن الحريات الأساسية والتنمية الاجتماعية والاقتصادية ، فحقوق الإنسان داخل المجتمع السياسي رهينة قناعة الفرد بالتسامح ورهينة تنظيم المجتمع على أساس التسامح."ولما أصبح جلياً أن التنمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لا تكون إلا في ظل نظام تسامحي ، اهتمت المجموعة الدولية بالمسألة وهي تسعى لأن تلتزم الدول بالتسامح كقاعدة أساسية للتنظيم الاجتماعي و السياسي على المستوى الداخلي والخارجي " .([١])

الشعوب أصبحت تقترب من بعضها البعض بفعل وسائل الاتصال المتقدمة جداً ، والسبب في ضرورة إرساء مبدأ التسامح هو عدم المخاخرة بتعريض الشعوب التي تشعر بالدونية نحو ثقافتها و مقدراتها الثقافية ، إلى ما يسمى بالصدمة الثقافية أو الدخول في صدام وتناحر مع الثقافات الأخرى ، خصوصاً أنه لا توجد معايير أو مقاييس دولية لتحديد مراتب أو درجات تحدد أي من الثقافات السائدة في العالم هي الأفضل ، كما أن المجتمع الدولي في حاجة أكثر من أي وقت مضى إلى التسامح لإرساء مبدأ التقارب والتعايش السلمي بين الهويات .

" ولأول مرة في التاريخ نجد أن الثقافة الكونية متعددة الأقطاب ومتعددة الحضارات ، وهذا ما يؤكد على أن التحديث لا ينتج حضارة كونية أو ثقافة كونية واحدة ولا يؤدي إلى تغريب المجتمعات غير الغربية " .[٢] فمن المؤكد أن لكل ثقافة خصوصيتها وهويتها التي تعتز بها ، وكذلك مجموعة من القيم والمعايير التي رسخت لدى الأفراد وأصبحت المكون لإطاره المرجعي وتمثل مرجعيته الثقافية ؛ لذلك فمهما تعرض الفرد لقيم ومعايير مضادة لإطاره المرجعي فإنه غالباً لن يتأثر بها إلا في حدود ضيقة على أكثر تقدير أو إذا تعرض لدعاية مقصودة تهدف إلى النيل منه ، والتساؤل هنا :هل من المفترض أن يتم التسامح تجاه ثقافة الأخر أم الانغلاق التام ، أعتقد أن التسامح الثقافي أو الانفتاح الثقافي كما يحلو للبعض تسميته ضرورة ولا بد منه خصوصا للمجتمعات النامية مثل المجتمعات العربية وهي أيضاً بحاجة للتسامح تجاه ثقافة الآخر للعديد من الأسباب منها :

١. بدون الانفتاح الثقافي التام على ثقافة الآخر لن نتعرف على روح حضارته وكيف وصل لما وصل إليه الآن .

---

(١) ناجي البكوشي ، التسامح عماد حقوق الإنسان ، ص١٧.
(٢) صمويل هنتجتون ، صراع الحضارات ، ص ٣٧.

٢. التعرف على أسلوب حياته وطريقته في التفكير وفلسفته للحياة التي قد يكون (وبالتأكيد) فيها حلول لبعض مشكلاتنا المستعصية .

٣. التطلع للعالم الحديث برؤية أكثر اتساعاً وشمولاً لما يدور فيه من تغييرات لها أثر بالغ على الحياة بمختلف أوجهها الاقتصادية الاجتماعية والسياسية والفكرية والحضارية .

٤. ان في عدم التسامح الثقافي انغلاق على الذات وهذا الانغلاق لن يخلق تفاعلاً خلاقاً ينتج عنه بناء حضارة جديدة أكثر إنسانية .

٥. نحن مجبرين على تلقى ثقافة الآخر بالوسائل المعروفة والغير معروفة فلماذا نكابر ونرفضها ونساعد الآخر في رسم صورة شيطانية وسلبية عن العربي .

جمعنا مؤمن بتعارض ثقافتنا مع ثقافة الآخر ولكن علينا بتسامحنا وانفتاحنا أن نعرف المزيد عن الآخر مع الأخذ بالحسبان توفر نوايا التسامح لدى الحضارات والثقافات المتعارضة أحيانا في الوقت الذي تتزايد فيه الصراعات الثقافية وهي الآن أخطر مما كانت عليه في أي وقت آخر سابق في التاريخ ، " ففي كل حقبة زمنية تسود حضارة واحدة ، ولكن الثقافات كثيرة ومتعددة ، قد توجد كلها وتتسامح في وقت واحد دون أن يكون من الممكن القول أن واحدة أفضل أو أرقى من الأخرى فبعضها أفضل في أشياء والأخرى أفضل في أشياء أخرى ، وهذه القناعة تمثل تحرراً حقيقياً من ربقة الشعور بالسيادة والأفضلية " ([1]) وهذا التواجد المكثف للثقافات والاتجاهات الفكرية الحديثة والمعتقدات المختلفة في العالم تدعونا للتعاون وتبادل الأفكار والثقافات بين بعضنا البعض لأن " الجهود البشرية التعاونية من الممكن أن تتراكم عندما يتم تبادل الأفكار والثقافات بين الشعوب ، فمثلاً إذا ما تم تبادل الأفكار بين شخصين أصبح لديهما فكرتان بدلا من فكرة واحدة وتصبح النتيجة آنذاك تفاعلية ، ومن المؤكد أن أحد من الطرفين لم ولن يخسر نتيجة هذا التبادل في الأفكار " ([2])هذا على صعيد الأشخاص فما بالكم لو تم ذلك بين ثقافات ، أنا أعتقد أن في ذلك إثراء للفكر الإنساني والحضارة الإنسانية التي لم نتوقف عن الدعوة إليها . وفي أحيان أخرى فإن المطلوب ليس هو الاتفاق بحد ذاته إنما المطلوب هو " أن تتقبل مشاعر الآخرين وتتفهمها وتعترف بها "([3]) لأن ذلك يؤدي في النهاية إلى خطاب جماعي للإنسانية والتسامح وقبول للآخر .

وهذا يعني ان التسامح لا يشكل خطرا على ثقافة المتسامح فطالما ان ثقافته باقية ومستمرة فأين هي المشكلة ؛ ولهذه الفكرة أصول فردية " فبعض الناس قد يتسمرون في أفكار هم لدرجة أن ذلك يعجزهم عن مجرد التفكير بالنظر مليا إلى الأفكار والآراء التي لا يوافقون عليها وعلى التعاخي مع حملة هذه الآراء بوصفهم أندادا أخلاقيين " [4]

ومن ناحية أخرى "فان حرية الفكر نابعة من تحرر المجتمع ، ومدى اتساع آفاقه يحدد مدى تسامحه مع تعدد وجهات النظر في القضية الواحدة "[5]

الخوف من التسامح تجاه ثقافات واردة أو جديدة يعود لسببين :

---

(١) العربي ص ١١١.
(٢) جيرارد إ. نيرنبرغ ، أسس التفاوض ، ص٤١.
(٣) جيري وزنسكي ، تسوية الخلافات في العمل ، ص ٢١.
(٤) بيتر نيكلسون ، التسامح عماد حقوق الإنسان ، ص ٤٧-٤٨.
(٥) محيي الدين صبحي ، الأمة المشلولة ، ص ١٢٨.

الأول : الخوف من اجتياح الحياة الحديثة (أوروبا) للمجتمعات التقليدية (المجتمع العربي) وقطعها عن جذورها الدينية والعرقية .

الثاني : الاعتقاد بعشوائية التحديث وعدم تنظيمه وتقنينه كونه قد يطال قطاعات ويهمل الأخرى .[1]

إن ما يمكن أن يترتب على الخوف من ثقافة الآخر ، هو الخضوع لها من باب أن الخوف هنا هو اعتراف غير مباشر بقوتها ، كما تعتبر العزلة نتيجة منطقية أيضا لهذا الخوف ، تلك التي اذا استمرت فربما تتسبب في نشوء علاقة مرضية عُصابية بمحتويات الذات لا سيما المحتوى الفكري أي المعتقد ، وهذا هو التعصب .

فالمتعصب لا يتحمل رأيا مخالفا لرأيه وينكر على الآخرين حق التمتع بنفس الحقوق التي يتمتع بها هو ، ومقاوم للتغيير ، ويعتقد أن كل جديد هو غزو لثقافته ومعارض لدينه ، كما يرفض المتعصب الحقائق العلمية إذا خالفت عقيدته .[2]

في الوقت الذي يتعارض فيه التعصب مع الدين تمام التعارض ، ويعتبر التعصب واحدا من أسباب عدم قبول ثقافة الآخر وبالتالي عدم إدراكها وبالتالي عدم فهمها .

وعن علاقة ما نطرح بالثقافة العربية ، فالتعصب موجود بلا شك لدى الانسان العربي ، وفي اعتقاد الباحث أن هذا يرجع لسببين رئيسيين :

الأول : البناء الثقافي العربي يؤكد على أن الثقافة العربية هي الأقوى والأفضل والأكثر مناسبة للحياة في الوقت الذي نجد فيه الأمريكي يقول نفس هذا الكلام والياباني يؤكد على هذا نفسه .... الخ ، ولكن الأفضلية في اعتقادي تمنح لمن يسمح لنفسه بالتسامح مع ثقافة الآخر التي لن تضر بأي حال من الأحوال ... هذا شريطة تحقق الفهم الكامل لمعنى الثقافة التي هي نظام الحياة المتكامل يجمع جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية وطرق الحياة وطبيعة نظام الحكم ...الخ.

ولكثرة المتغيرات وتلاحقها في زمننا هذا يحق لنا أن نثير سؤالا حول مدى انغلاقنا على أنفسنا وبصيغة أخرى هل ثقافتنا العربية وحدها لديها الحلول السحرية لمشكلاتنا ، أنا أعتقد أن ثقافتنا الحالية المتهمة بالسلفية والتحجر لن تستطيع الوصول للمعترك العالمي لأننا مازلنا نعيش على ذكريات الماضي وما زلنا نؤجل إلى أجل غير مسمى ... ولنفترض أننا وصلنا إلى تسمية هذا الأجل فهل نحن مستعدون ؟ (سؤال يحتاج إلى إجابة) إذا لماذا تحارب بعض الاتجاهات الفكرية المعاصرة والتقليدية الانفتاح على الآخر وثقافته ؟ وبمعنى أكثر اقترابا من المفهوم البحثي لماذا لا نتسامح تجاه الثقافات الأخرى ؟!

والسبب الثاني: هو التسامح على خريطة وسائل الإعلام وذلك من خلال ما تعرضه وسائل الإعلام على الذوق العربي ولسنا هنا في مقام التعرض للمضامين التي تعرضها وسائل الإعلام بقدر ما نحن بحاجة للاشارة لسطحية تلك المضامين ووصفها بعدم التعبير عن الوجدان العربي والهموم

---

(1) محيي الدين صبحي ، الأمة المشلولة ، ص ١٤٣.
(2) تعصب تسامح ، مواقف في البطولة والأخلاق ، مقدمة الكتاب.

اليومية للمواطن العربي فهي تهتم فقط بقتل الوقت والهروب من المشكلات المجتمعية الملحة والتحديات التي تواجهها الأمة العربية ، وهذا لا يعتبر مقياساً للتسامح الثقافي المقصود ؛ هذا هو التسامح على طريقة وسائل الإعلام !!!.

هل هناك حدود للتسامح ؟

اعتقد انه نعم ؛ فأنا أتسامح مع كل من يقدر تسامحي هذا وفي بعض الأحيان اقبل ان لا يقدر الآخرون تسامحي .

ولكن هل يجب ان أتسامح تجاه من اعتدى عليَّ ؟؟ ربما نعم .

وقد يسأل سائل ألا توجد ولو حالة واحدة لا يجب أن أتسامح معها ؟

نعم ، فبعيدا عن المفاهيم الفلسفية للتسامح نقف أمام حالة تخرج عن قاعدة التسامح (إنها حالة التسامح تجاه المغتصب) فلا يصح لنا ان نتسامح تجاه من اغتصب منا أشياءنا إما المادية أو المعنوية أو بعبارة أخرى اغتصاب حقوقنا الإنسانية ومن الأمثلة الحية في هذا الاتجاه الصراع العربي الصهيوني ؛ فمن غير المقبول بأي شكل من الأشكال قبول المغتصب أو المحتل لأن في ذلك انحطاط وهدر للكرامة وانفصام في الذات ، وعليه فتعاطينا مع ثقافة العدو ، يكون في حدود ما يخدم أهدافنا وثوابتنا في الانتصار عليه ، ولعل التسامح في مقام مثل هذا ، يعتبر تخليا مني عني ؛ وتلك حقيقة لا مجال للجدل والمماراة فيها ، ولا يفوتنا التأكيد على أننا لا نرفض وجود المغتصب أو ثقافته كبشر مغاير ، وإنما كمحتل ومغتصب لأرضنا ولنا ، وعملية السلام القائمة الآن لا تعتبر حلا للمشكلة القائمة لأن "التناقض القائم بين مفهوم السلام (الصهيوني) يتعارض كل التعارض مع مفهوم السلام (الفلسطيني) فمفهوم السلام العربي الفلسطيني لا تتحقق شروطه ومواصفاته إلا على حساب وشروط ومواصفات سلام الآخر الذي هو الخطأ في معادلة كهذه ، وكل من السلامين يتعارض ويتصادم مصلحيا وثقافيا مع الآخر " .([1]) *

([1])عبد الله الحوراني ، التطبيع الثقافي وأثره على الصراع العربي الصهيوني ، ص ٣٤- ٣٥ .

*ويجب علينا رفض الآخر (الصهيونية) لأنه يسعى من خلال ما يسميه التطبيع الثقافي للوصول إلى عقل المواطن العربي ووجدانه وضرب المناعة النفسية لديه ودفعه للقبول بالآخر ضمن شروطه التي يفرضها في عصر قوته ، والترويج لفكرة المشاركة مع الآخر "
وذلك أيضا لأن طبيعة السلام الذي يفرضه الكيان الصهيوني على العرب يتجاوز إقامة علاقات ودية بين (الكيان الصهيوني) والدول العربية أو حتى إقامة نوع من التعاون بين دول المنطقة ، انه إلغاء جذري وشامل ومخطط للأمة العربية وتاريخها وثقافتها وقيمها الأخلاقية والدينية وشخصيتها القومية وتحويلها إلى كم من الأفراد في آلية ثقافية جديدة ، لا أمة تمتلك موروثها الثقافي.
ومن ناحية أخرى فان الصراع بين فلسطين والكيان الإسرائيلي يتعلق بالوجود وهذا يعني أن وجود أحد الطرفين يهدد وجود الطرف الآخر أو ينفيه وحتى لا ينتفي وجودهم فهم بالتأكيد يعملون وسيعملون على نفي وجودنا .
فبعد نفي الوجود بماذا ينفع التسامح ، إذا لا معنى للتسامح في هذه الحالة .(الباحث)

المبحث الثاني: قدرة المجتمع العربي على استيعاب المعارضة والاختلاف واحترامهما

(قبول الآخر وتحقيق الديمقراطية)

كما سبق وأشار الباحث في بداية هذه الدراسة إلى أن أفضل تعبير عن مفهوم التسامح هو قبول الآخر ، ذلك أن مصطلح التسامح قد يحمل في طياته معانٍ قد تبدو للبعض أنها انهزامية وتراجع وعدم قدرة على المواجهة في الوقت الذي يعبر فيه مصطلح قبول الآخر عن قبول طرف لمفاهيم وأفكار أو قيم ومعتقدات أو ثقافات قد تتعارض معه إلا أنه يعمل على قبولها واستيعابها لتجاوز صراع قد ينشب فيما بعد مع هذا الآخر ، وهذا المفهوم في النهاية يشير إلى تسامح طرف مع آخر إلا أن هناك محترز واحد ينبغي الإشارة إليه حتى تكتمل الرؤية الصحيحة لهذا المفهوم ألا وهو ضرورة قبول الآخر للأول حتى تكتمل حلقة التسامح وتحقيق الهدف المرجو منها الذي هو إشاعة السلام و الديمقراطية ، ولا ينبغي أن يفهم هذا الحديث عن قبول الآخر على أنه دعوة لقبول الغاصب .

وقبل الخوض في مدى قدرة المجتمع العربي على قبول الآخر ثقافياً واستيعابه ينبغي الإشارة إلى عدد من القضايا التي جعلت هذا الموضوع موضوعا ملحاً للمناقشة والتحليل :

١. ينظر للإنسان على أنه مجرد حصيلة تاريخية (أي أن الإنسان اكتسب كينونته من خلال واقعه وخصوصيته المتفردة والمنعزلة عن الآخرين) وهذا الموقف نادى به وينادي به القائلين بالعنصرية وامتناع التواصل بين الشعوب والأمم الأخرى لأنها تنقسم إلى عقليات مغلقة على ذاتها ، هذه الرؤية الحداثية للإنسان تؤكد على ضرورة شيوع التسامح وقبول الآخر.[١] إلا أن مجتمع الإنسان في حد ذاته نسق مبني على التعاون القائم بين وحداته المختلفة أفرادا أو جماعات أو نظماً أو غير ذلك .[٢] وبين هذين الموقفين يتراوح مبدأ قبول الآخر بين مؤيد ورافض.

٢. نظرية صراع الحضارات التي تقول ان مكونات الحضارة (الثقافة واللغة والدين) ستؤدي إلى صدام بين الحضارات ذلك من خلال تبلور مشاعر إنسانية جماعية نحو رفض الآخر بناء على الإحساس بالقهر من قبل الطرف الأضعف ، مما سيدفعها للصدام مع الطرف الأقوى [٣] وهل فعلاً أن رفض الآخر سيدفع البشرية نحو صدام أو صراع طبقي بين حضارات أقوى وأخرى أضعف؟

٣. تنامي وتصاعد الاتجاهات التعصبية حول العالم ، ألقى بظلاله على ضرورة الاعتراف بالآخر وقبوله .

٤. الخلل في التوازن العالمي ، قسم العالم إلى فئتين واحدة تملك والأخرى لا تملك .

٥. الصراعات الطائفية والإثنية .

(١) أبو يعرب المرزوقي ، آفاق النهضة العربية ، ص١٩٨ .
(٢) أبو يعرب المرزوقي ، العلاقات الإنسانية ، ص ٧٠.
(٣) عن صراع الحضارات ، صمويل هنتجتون.

٦. سيادة الاعتقاد بأنه بدعوة الغرب إلى فكرة الثقافة العالمية محو لشخصيتنا وذاتيتنا وخصوصيتنا الثقافية وقيادة العالم نحو ثقافة الغرب وأيدلوجيته وحضارته . ([1])

وقد برزت مؤخراً مشكلة الآخر بشدة في العلاقات الأوربية العربية بشكل خاص وقبل أن نتعمق في تفاصيل هذه المشكلة ينبغي في البداية أن نجري عملية نقد ذاتي مضمونها كيف يقدم العرب أنفسهم للآخرين كثقافة وسلوك ، وفي هذا الصدد يشير السيد يسين إلى "معركة ثقافية حول الآخر تعكس اتجاها عنصرياً صريحاً في النظرية والممارسة ويظهر هذا الاتجاه جلياً في الكتب والمؤلفات الحديثة التي تقوم على تشويه الآخر (العربي بالنسبة لهم) ويظهر أيضا من خلال تصاعد موجات العنصرية في بعض الدول الأوربية تجاه الآخر ، وهناك اتجاهات مضادة لهذا الاتجاه تدعو للتسامح الثقافي وفي نفس الوقت ترفض الاتجاه الأول" [2] . وهذا الاتجاه العنصري والنظرة الدونية نحو العرب لم تأت من فراغ إنما كانت نتيجة لممارسات عربية تتسم بتراكمات سلبية ، نتجت عنها صورة نمطية غير سليمة أو هي بمعنى أصح عدائية تجاه كل ما هو عربي بالإضافة لما يحمله الأوربيون من عداء تاريخي للشرق بصفة عامة والعرب بصفة خاصة ، هذان السببان بالتحديد كانا خلف ظهور الاتجاهات السيئة والتعصبية نحو العرب.

وهذا يدعونا للتأمل قليلاً في شخصيتنا العربي والغوص في أعماقها والبحث في كينونتها ، ليست هذه الدراسة هي مجالها إلا أن هناك مؤشرات لا يغفل عنها أحد بشير إلى عدم فهمنا للطريقة الأفضل لتقديم أنفسنا للآخر ، ولم ندرك حتى هذه اللحظة ما تملكه وسائل الإعلام من قدرة على الانتشار بالشكل الذي يساعدنا على تقديم أنفسنا بصورة أجمل من الصورة الحالية التي تتسم بالضعف والسلبية والدونية والتقليدية التي لا تجبر الآخر على احترام الذات العربية وقبولها ولم نستطع أن نفرض ثقافتنا العربية على الآخر والسبب في ذلك هو ضعف حضاري نعيشه الآن ، هذا في الوقت الذي نجد فيه حضارة الآخر قد صارت هي الحضارة العالمية التي يعتقد البعض أنها تناسب البشر كافة (من وجهة النظر الغربية) إلا أن الرؤية الأصح لعالمية الحضارة هي أن مظاهر حضارتهم قد تسربت بالفعل إلى أنحاء كثيرة من العالم ، غير أن المفاهيم الأكثر عمقاً في الغرب تختلف اختلافاً جذريا عن المفاهيم السائدة في الشرق ، فالأفكار الغربية تعتمد على وجود دستور وتطبيق مواثيق حقوق الإنسان والمساواة والحرية وسيادة القانون والديمقراطية ، وفي المقابل لا نجد نظام حكم عربي واحد يعمل أو حتى يسعى إلى تطبيق إحدى هذه المفاهيم ، في الوقت الذي يتقبل فيه المواطن العربي كل الممارسات التي تتنافى مع حريته وحقوقه باستسلام غريب ، والسؤال هنا : لماذا يقبل العربي كل هذه الأخطاء والممارسات السالبة لحقه باستسلام ؟ والجواب دون الحاجة لتفسير هي الروح الانهزامية وليس التسامح .

وعدم التوازن الحضاري الذي سبق الإشارة إلية هو أحد أسباب عدم القبول بين ثقافتنا وثقافة الآخر .

([1]) هيام الملقي ، ثقافتنا في مواجهة الانفتاح الحضاري ، ص ٣٢٧.

([2]) السيد يسين ، الثقافة ووسائل نشرها في الوطن العري ، مؤلف جماعي (تونس ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : ١٩٩٤) ص٨١.

" وهذا الموقف أفرز صراعاً حاداً في صياغة صورة الآخر بين اتجاهين متناقضين ، وسيتوقف على حسم هذا الصراع بروز ملمح هام من ملامح الحضارة الإنسانية الجديدة أو بعبارة أخرى من سيسود العالم التيار العنصري أم تيار التسامح الثقافي " [١] الأكثر اتفاقا مع السمة العالمية للنظام الكوني التي ستكون أبرز ملامح القرن الجديد ؟ . ذلك أن الاتجاهات العالمية تنحو الآن منحنياً جديدا يتسم بالإنسانية والتسامح الذي ترجع أصوله إلى الإيمان العميق بالتعدد وبعدم امتلاك طرف من أطراف هذا الصراع الثقافي للحقيقة المطلقة وحده ومن هذا المفهوم ينطلق " مبدأ قبول الآخر الذي يعتمد على قبول الذات أولا مثلما أن نفيه هو نفى لها أيضا " .[٢] إذ أن مدى فهمنا للآخر يعتمد على أساليبنا في التعامل معه ، وأسلوبنا في التعامل معه يتحدد من خلال هويتنا المميزة لنا ، ومدى قبولنا لأنفسنا أولاً ، ومدى دفاعنا عن وجودنا ، وإلى أي درجة نحن مستعدون للدفاع عن هذا الوجود ، وأتساءل هل تنوع ثقافتنا العربية * وعدم وجود آلية للتعاون والتبادل الثقافي بين الدول العربية له دور مؤثر في عدم تحديد مفهوم واضح المعالم لشخصيتنا أمام العالم ؟ ربما تكون الإجابة بنعم لو نظرنا لأنفسنا كحضارة بين الحضارات التي تصول وتجول في هذا العالم ؛ لذلك "لا ينبغي على ان لا أعايش أي ذات أخرى إلا عندما أدرك نفسي من خلال إمكانياتي وحريتي" [٣].

فالامكانيات والحرية هما المنطلقان اللذان من خلالهما نستطيع أن نحدد ذاتنا ، وهنا يبرز سؤالان ترتبط إجابة الأول بالثاني :

هل نمتلك امكانياتنا ومقدراتنا ؟ فإن كانت الإجابة بنعم فهل لدينا الحرية في استخدامها والتصرف فيها أم أن الجهل الفكري ما زال يسيطر علينا لدرجة أننا ما زلنا في مرحلة دونية لا تتيح لنا تصدير ثقافتنا للآخر ؛ وهذا الجهل يضعنا في صراع بين الأنا والآخر على الصعيد الحضاري ونتيجة هذا "الصراع الذي يأخذ فيه الجانب الثقافي حيزا كبيرا يبرز نموذج توفيقي للعالم المبني على النسبية الثقافية في مواجهة العنصرية والمركزية الغربية ويشملها النسبية الفكرية" .[٤] وأنا أعتقد أننا لو أجرينا قراءة عميقة وتحليلا دقيقا لعناصر النموذج التوفيقي العالمي الجديد *(انظر الهامش)** سيكون بمقدورنا أن نحدد موقفنا من الحضارة الإنسانية المقبلة وسنستطيع تقديم أنفسنا عبر ذات ثقافية وحضارية تستطيع التأثير من خلالها على الحضارات الأخرى ، والأهم من هذا كله أننا ستقبل لدى الآخر.

---

(١) السيد يسين ، الثقافة ووسائل نشرها في الوطن العري ، مؤلف جماعي (تونس ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : ١٩٩٤) ص٨٠-٨١.
(٢) حلمي سالم ، الحداثة أخت التسامح ، ص ١٩.
* كل منطقة عربية وأحيانا كل دولة عربية تستقل بخصوصية ثقافية عن المناطق أو البلدان العربية الأخرى .
(٣) غوستاف لوبوف ، الآراء والمعتقدات ، ص ١٠٦.
(٤) السيد يسين ، نحو خطة قومية للحوار مع الثقافات الأخرى ، ص٨٣-٨٤.
* النموذج التوفيقي الذي قدمه السيد يسن يدور حول عدد من الموضوعات التي تحدث خلافا كبيراً وصراعاً حاداً بين المثقفين والسياسيين والسلطة وأهم هذه الموضوعات :

١) الفردية والجماعية على الصعيد الأيدلوجي والاقتصادي والسياسي. ٢) العلمانية الدين.٣) عمومية مقولة الديمقراطية وخصوصية التطبيق . ٤) المصلحة القطرية والمصلحة الإقليمية. ٥) العلاقة بين الأنا والآخر على الصعيد الحضاري. ٦) العودة لمفهوم التقدم بدلاً من التنمية. ٧) الإعلام القطري والإعلام العالمي.

وسمات هذا النموذج التوفيقي العالمي الجديد تتمثل في خمسة سمات لو استطاعت قوى التقدم أن تنتصر على قوى الرجعية :

١) التسامح الثقافي المبني على مبدأ النسبية الثقافية في مواجهة العنصرية والمركزية الأوروبية والفردية .
٢) النسبية الفكرية بعد أن تنتصر على الإطلاقية الأيدلوجية .
٣) إطلاق الطاقات الخلاقة للإنسان في سياقات ديمقراطية على كافة المستويات .
٤) العودة إلى إحياء المجتمعات المحلية وتقليص مركزية الدولية .
٥) التوازن بيم القيم المادية والقيم الروحية والإنسانية .

ومواجهة ذاتنا وقراءتها من جديد - " بعد أن عمل الاستعمار على مسخ شخصيتنا الثقافية والدينية والمعنوية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية قبل أن يغادر المنطقة العربية بما يضمن له أسلوب تحقيق شكل المسيرة الثقافية العالمية وفعاليتها لتمرير مصالحه للعالم العربي " - ([1]) من ضمن الأسباب التي ستجبرنا على فهم أنفسنا بشكل أفضل وتحديد الذي نريده من الآخر كما أن ذلك سيحدث لدينا سداً منيعاً يصعب اختراقه ولن تطالنا أيضاً سلطة الآخر الذي نخشاه ، كما أنه لن يستطيع استبعادنا من حلبة الحضارة العالمية . "فبينما أحاول أن أحرر نفسي من سلطة الآخر فإن الآخر يحاول أن يحرر نفسه من سلطتي ، وبينما أسعى أنا لاستبعاد الآخر يسعى الآخر لاستبعادي" .([2]) وهذا التعبير يعكس لنا رؤية متزنة لمعنى قبول الآخر تضم بين جنباتها فكرة تكافئية الطرفين وليس طغيان طرف على آخر إلا أن هذا التوازن يصيبه الخلل عندما "ينظر إلينا الآخر ولا يرى أمامه سوى المظهر الخارجي لنا ؛ لذلك فهو يدركنا كشيء من أشياء هذا العالم ، وهذا بنظرة فلسفية يسلب عنا ذاتيتنا ؛ لذا فعندما ننظر إلى أنفسنا بنظرة الآخر فإنني بذلك أعايش ذاتي بنوع من النقد قبل معايشة الآخر " . ([3]) وهذا المبدأ سينتفي في حالة القراءة العميقة للذات العربية كما أشرنا في السابق إضافة إلى "الحرص على الذاتية السليمة والتمسك بالخصوصية التي هي من صميم ما تدعو إليه القيم والمبادئ ... التي ندين بها ونعمل على تطبيق تعاليمها ، ونصوغ حياتنا وفقا لمنهجها ، وان إفراغنا في هذا قد يفقدنا تمايزنا وذاتيتنا ولن نجد بعد ذلك سوى طريقة الحضارة الغربية والانصياع الكامل لمبادئها وسلوكياتها وقيمها وفلسفتها ومعتقداتها وعوامل تفسخها ([4]) .

إن الحديث عن تأثير التسامح الثقافي على المنظومة القيمية العربية ، يلزمنا في البداية أن نشير إلى "ان الثقافة لا تضم في مفهومها الأفكار فحسب إنما تضم أشياء اعم من ذلك تخص أسلوب حياة مجتمع معين كما تخص السلوك الاجتماعي الذي يطبع تصرفات الفرد في ذلك المجتمع" ([5]).

إننا هنا لنؤكد على مبدأ واحد فقط هو كيف نقبل الآخر وكيف نكون موضوعيين في ذاتنا وكيف نكون موضوعيين لنتعلم كيف لا نتهم جزافا؟ ونتعلم كيف نسمع؟ ، وأتساءل هنا كيف نطالب الآخرين بالاستماع لنا ونحن لا نستمع لهم في الأساس؟ ، وما المشكلة في ان نجلس مع الآخر؟؟ فأي كان هو يجب أن نكون أنداداً له ، إذا فلنتحاور معه ونتسامح معه أيضاً ، فأن يسمعنا ونستمع له ويفهمنا ونفهمه وأخيراً يقبلنا ونقبله ، ونعيش في سلام وتسامح معه ، أفي ذلك مشكلة ؟ أنا اعتقد أنه لا .

إلا أن البعض يعتبر في ذلك مشكلة ، فيقال ان بعض الآخرين كافرون ومستهدفون لنا ،ببساطة إذا لنقدم لهم ما عندنا وليقدموا لنا ما عندهم ، وفي هذا السياق يقول ايرل تشيسترفيلد الرابع " ما من أحد أشد صمما من أولئك الذين يرفضون أن يسمعوا " ([6]) . ونستطرد سائلين ؛ لماذا لا نكتشف ذاتنا من خلال رؤيتنا للآخر وطالما أن التسامح مع الآخر سيوصلني للحقيقة في النهاية فلماذا

([1]) هيام الملقي ، ثقافتنا في مواجهة الانفتاح الحضاري ، ص٣٢٧.
([2]) حسن محمد حسن عماد ، الاغتراب ، ص١٠٥.
([3]) حسن محمد حسن عماد ، الاغتراب ، ص ١٠٦.
([4]) هيام الملقي ، ثقافتنا في مواجهة الانفتاح الحضاري ، ص ١٩٠
([5]) مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة ، ص١٣.
([6]) منير البعلبكي ، المورد ، ص ٧٠ .

أرفضه ."فقد أكون على خطأ والآخرين على صواب والتفاهم العقلاني يجعلنا نصحح أخطاءنا إذا تفاهمنا بشكل عقلاني سنصل للحقيقة " . ([1]) وهنا نؤكد على " ضرورة التوازن بين التعقل والانفعال وتفهم كل من الطرفين للآخر والاتصال الجيد وتوافر الثقة والاقتناع بدلا من الإرغام وكذلك التقبل المتبادل وضرورة التركيز على ما يستطيع كل من طرفي العلاقة ان يفعله في سبيل تحسين القدرة المشتركة على التعامل الذكي مع الاختلافات التي تنتج عن اختلاف القيم إلى ان ينتهي الطرفان بعد الاختلاف وبعد الشقاق إلى وفاق " . ([2])

وعودة لمشكلة قبول الآخر في المجال الديني ، ذلك أن قبول الآخر في مجال الدين أصعب منه بين القوميات والسلالات المتناحرة ، والثقافات المتصارعة ... إذ ان الصراعات غير الدينية قد تذوب مع الرقي وتوفر المعلومات عن الآخر وتكون نقطة البداية هي لقاء الآخر ثم الحوار معه قبل ان تتحول المشاعر الإنسانية إلى قبول وقد تمتد مشاعر القبول هذه إلى وفاق وتعاون أما الصراعات الدينية فتحتاج إلى مدى طويل وجهود شاقة ([3]) وفي المقابل فإن هناك من يزعم أن "عدم التسامح هو إحدى صفات المعتقدات الثابتة ، ويؤكد هذا الرأي على أنه كلما كان المعتقد قوياً قل تساهله ... والمعتقدات السياسية هي كالمعتقدات الدينية في عدم تسامحها وعدم التسامح في المعتقدات وما ينشأ عنه من اضطهاد لا يختص بفئة دون الأخرى فكما هو عند العوام نجده أيضا عند المتعلمين ومن الممكن أن يكون أكثر شدة لديهم " ([4]) وصعوبة قبول الآخر في مجال الدين ترجع إلى قوة الارتباط بين الشخص والدين فالدين ملازم للشخص منذ ولادته ولا يسهل عليه قبول الديانات الأخرى لان الشخص يعتقد في دينه سلامة المعتقد ويرى انه (بإيمانه) على الصواب في الوقت الذي ينظر فيه للديانات الأخرى على أنها في ضلال ؛ إلا أن الرؤية الأوسع والأشمل للدين تقودنا إلى حقيقة مفادها أنه لا يوجد دين على وجه الأرض يرفض ديانة أخرى أو يحاربها لأسباب عقائدية وأن ما حفل به التاريخ من صراعات بين الأديان وصلت الحد الدموي إنما ترجع لمصالح لجماعة معينة وكان الدين هو الستار الذي يعلقون عليه مبرراتهم أي انه لا مجال للتعصب الديني في تلك الحروب ، وفي القابل فإن التاريخ حفل بالكثير من الأمثلة على التسامح بين الأديان لتعزيز الرؤية الإنسانية للعالم .

وبما أننا نتحدث عن العالم العربي في هذه الدراسة ، وجل العرب مسلمون فينبغي الإشارة إلى ان الدين الإسلامي من أكثر الأديان التي دعت إلى التسامح الديني مع الديانات الأخرى ونادت بالتسامح في كل مجالاته ، ولا أبلغ تعبيرا في هذا الصدد مما قاله محمد عبده : " فإن انتساب غير المسلمين إلى الأمة لا يقل أصالة عن انتساب المسلمين أنفسهم " ([5]) ومن ناحية أخرى فإن الأعمال الأدبية في ثقافتنا العربية لم تخلُ من تناول قضية التسامح وحرية الفكر والعقيدة وإدانة التعصب الديني والتناحر الطائفي ونجد هذه المعاني أكثر وضوحا في شعر عبد الوهاب البياتي وبدر شاكر السياب وأدونيس ... ([6]).

([1]) بيتر ب. نيكلسون ، التسامح بين شرق وغرب ، ص٨٨.
([2]) نحو التآلف والاتفاق:بناء علاقة إيجابية ، ص ١٧٥.
([3]) ميلاد حنا ، قبول الآخر ، ص ٢٧.
([4]) غوستاف لوبوف ، الآراء والمعتقدات ، ص ١٤٨-١٤٩.
([5]) تعصب ، تسامح : مواقف في الفضيلة والأخلاق ، مقدمة الكتاب.
([6]) حلمي سالم ، الحداثة أخت التسامح ، ص٩.

وفي المقابل تجد هؤلاء من حاملي راية الفكر المعاصر والذين لا ينظرون للقضايا الحضارية نظرة سطحية يتعرضون للقمع تارة من الاتجاهات السلفية وتارة أخرى من قبل مدعي حراسة الثقافة العربية "إذ يحفل العالم العربي بالكثير من حالات القمع في إهدار حق الآخر ، ذلك فقط من أجل أن يكون مختلفاً في رأيه وإبداعه أو معتقده " . (١)

وتتعرض المنظومة الكلية لحريات الرأي والتعبير والاعتقاد والفكر والابداع لأزمة حادة في الوطن العربي وأحد مصادر هذه الأزمة يعود إلى تشبث نظم الحكم العربية بعشرات من النصوص القانونية التي تكشف عداءها لمجمل تلك الحريات وتقود بشكل روتيني العديد من الكتاب والصحفيين والمفكرين إلى ساحات القضاء (٢) وهذا ما يتعارض تماماً مع مبدأ التسامح وقبول الآخر ويتعارض أيضاً مع نصوص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والذي صدقت عليه كل الدول العربية " ان لكل شخص حق التمتع بحرية الرأي والتعبير ويشمل هذا الحق حريته في اعتناق الأفكار الآراء دون مضايقة ، وفي التماس الأفكار وتداولها ونقلها للآخرين بأي وسيلة ودون اعتبار للحدود " (٣) .

المبحث الثالث:

<u>رؤية استشرافية لمستقبل الأمة العربية في ظل دور التسامح الثقافي :</u>

إن مجتمعنا في مرحلته الحالية بحاجة إلى عالم الأفكار أكثر مما يتوهم البعض بأنه بحاجة إلى التركيز على عالم الأشياء المادية إلا أن العوام يقبلون التغيير في مجال الأشياء أكثر من التقبل الحادث في مجال الأفكار "وحاجة مجتمعنا للأفكار تعود إلى أن الفكرة هي السبب في تحريك الأشياء ، فكلاً من الفكرة والأشياء تتعاون ، في صنع حضارتنا" (٤)

وعدم تقبل العوام أو حتى بعض المثقفين للتغيير في الأفكار له منطلقات عقائدية ، مفادها أن الأفكار لدى ثقافتنا موجودة ولا نهائية تمتد للتعريف بكل الأشياء، وديننا وتراثنا لم يترك شيئاً إلا وقد تناوله، وفي بعض الأحيان ليس للإنسان الحق في التفكير في بعض الأشياء لأن تفسيرها يخضع لتفسيرات ميتافيزيقية ، وفي هذا المبدأ الذي تربينا عليه منذ الصغر نما لدينا شعور بوجود منطلقات ثابتة لمعظم الأشياء من حولنا وبالتالي أصبحت العقول تتسم بالجمود ، ولأن الأفكار نهائية "فقد أصبحت التوجهات الفكرية جامدة تتعامل مع الأفكار ومع بعض الظواهر على أنها جامدة وثابتة وترى في التغيير سبباً من الشذوذ والانحراف، وتدعو إلى المحافظة عليه، أو أحياناً العودة إلى ما كان عليه الوضع من قبل، وأفضل نموذج لهذا الوضع هو بعض الحركات الدينية والحركات السياسية والمحافظة التي تفسر كل مشكلة على أنها نتيجة للخروج على النهج الصحيح وتدعو إلى العودة لتعاليم الدين أو العادات والتقاليد السابقة)" (٥)

---

(١) حلمي سالم ، الحداثة أخت التسامح ، ص ١٥.
(٢) عصام الدين حسن ، حرية التعبير وحروب التكفير ، ص١٦.
(٣) حلمي سالم ، الحداثة أخت التسامح ، ص ١٢.
(٤) هيام الملقي ، ثقافتنا في مواجهة الانفتاح الحضاري ، ص٣٨.
(٥) مروان دويري ، الشخصية الثقافية والمجتمع العربي ، ص ٣.

الميراث التاريخي الذي خلفه الاستعمار الأجنبي لبلادنا العربية في الحقبة التاريخية المعاصرة خلف لدينا عداءً تاريخياً تجاه الغرب ككل، ولم نعد نتسامح أو نتقبل أي شيء منه وإذا قبلناه يكون ذلك فقط، في حالة كوننا مجبرين لعدم وجود البديل، غير أن النظرة النهائية هي نظرة عداء وهذا يجعلنا نتوقف قليلاً للتفكير بشكل مختلف في هذا الأمر.

لو راجعنا علاقتنا بالحضارات الأخرى لوجدنا أنها علاقة تفاعلية على مر جميع العصور في تاريخنا، في عصور الانحطاط، والعصور الذهبية أيضاً، تفاعل كان يتسم تارة بالقبول والتسامح وتارة أخرى بالتعصب والرفض فعندما كان هذا التفاعل طوعياً كان التفاعل إيجابياً واستفدنا كثيراً منه أي كان يتسم بالتسامح والقبول وأخذنا ننقل عن الآخر كل ما هو مفيد. "وتمكنا من استيعاب الآخر وتطوير معطياته وثقافته وصهرها في تركيب ثقافي جديد" ([1]) أما في العصر الحديث (عصر النهضة العربية الحديثة) فقد بدأنا نعيد أو نفكر بشكل مختلف ولكن بحرص شديد وتحت وطأة صراع فكري على مبدأ التحديث والتطور وعلى الرغم من سيادة العقلية الغيبية على العالم العربي بدأنا بشكل غير منظم وهادف لاستقاء العلم والمعرفة من الآخر (الحضارة الأوروبية بالتحديد) ولكن الخلل في عملية الاستقاء هو عدم دمجها وصهرها في الثقافة العربية، إذ أنه عشوائياً، ولكن ما يعنينا في ذلك هو قابليتنا للتفاعل مع الحضارة الكونية المقبلة، والمجتمع العربي باعتقادي لديه القدرة على بدء صياغة مفهوم جديد عن الآخر وتحديداً منظم للتفاعل المقبل مع الحضارة الإنسانية.

ويؤثر تسامحنا الثقافي تجاه الآخر في منحيين:

الأول : يساعد تسامحنا نحو الآخر في فهم ذاته وتصوراته عنا والأهم من ذلك أنه يحقق انفتاحاً ثقافياً وحضارياً بين الأمة العربية والآخر ، وهذا الانفتاح الذي تحقق أو سيتحقق كنتاج طبيعي للتسامح بالتأكيد له دور مؤثر على طبيعة القيم العربية السائدة ، فهناك الكثير من القيم العربية إما القيم الموروثة أو القيم المكتسبة تحتاج إما لاجتثاثها من موضعها وإما لتعديلها ، وأنا أعتقد أن أفضل خيار مطروح أمامنا للبحث والعمل في هذا الموضوع هو التسامح الثقافي مع الآخر .

الثاني : لا يتحقق التسامح الثقافي مع الآخر إلا بالقضاء على جمود العقلية ، الذي نتج عن تعصب كريه نشأ عليه وأصبح واحداً من قيمنا التي أصبحت فيما بعد ملازمة لسلوكنا في مجريات الحياة اليومية ، فالانفتاح أو المرونة المضادة للجمود تفسح المجال للعقل للنظر في الكثير من الأمور التي تدور حوله وتتسع الرؤية من حوله لتصبح ويصبح متلقياً ناضجاً وإيجابياً وبالتالي تزداد المعرفة وإن زادت المعرفة مع توفر نوع من المرونة ستكون مبادئ التسامح إحدى خيارات الشخصية العربية في التعامل مع ما حولها من ثقافات وحضارات.

مراجع الدراسة

١. ناجي البكوشي وآخرون ، دراسات في التسامح ، (تونس ، نشريات الشمال : ١٩٩٥).
٢. محمد الطالبي ، التسامح الديني والتفاهم بين المعتقدات، الحرية الدينية حق من حقوق الإنسان أم قدر الإنسان (القاهرة ، الدار الدولية للنشر والتوزيع: ١٩٨٦).

([1]) مروان دويري ، الشخصية الثقافية والمجتمع العربي ، ص ١١٤.

٣. حلمي سالم ، الحداثة أخت التسامح (مصر ، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان :٢٠٠٠)
٤. ميلاد حنا ، قبول الآخر: فكر واقتناع وممارسة (القاهرة ، دار الشروق : ١٩٩٨).
٥. كارل بوير ، بيتر ب. نيكلسون ، التسامح بين شرق وغرب ، ترجمة: إبراهيم العريس (لبنان ، دار الساقي : ١٩٩٢).
٦. تعصب تسامح مواقف في الفضيلة والأخلاق م ق ك ص (مقدمة الكتاب) رقم الكتاب ١٧٢,١
٧. مراد وهبة ، التسامح الثقافي (القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية : ١٩٨٧).
٨. محمد عبد المنعم نور، العلاقات الإنسانية (القاهرة ، دار المعرفة للنشر :ب.س).
٩. محمد العشماوي ، الإسلام السياسي (القاهرة ، دار سينا للنشر : ١٩٩٢).
١٠. جون لوك ، رسالة في التسامح ، ترجمة:
١١. جيرارد إ. نيرنبرغ ، أسس عملية التفاوض ، ترجمة:حازم عبد الرحمن ، ط١ (القاهرة : المكتبة الأكاديمية ، ١٩٩٨) .
١٢. مجلة العربي ، العدد (٤٩٤ يناير ٢٠٠٠.
١٣. صامويل هنتجتون ، صدام الحضارات:إعادة صنع النظام العالمي،ترجمة :طلعت الشايب،ط ٢(القاهرة ، دار اللواء للطباعة والنشر:١٩٩٧)
١٤. محيي الدين صبحي ، الأمة المشلولة :تشريح الانحطاط العربي ،ط١(فلسطين،رياض الريس للكتب والنشر :١٩٩٧)
١٥. عبد الله الحوراني ، التطبيع الثقافي وأثره في الصراع العربي الصهيوني(فلسطين ، المركز القومي للدراسات والتوثيق :١٩٩٩)
١٦. أبو يعرب المرزوقي ، آفاق النهضة العربية ومستقبل الإنسان في مهب العولمة (بيروت ، دار الطليعة:١٩٩٩)
١٧. هيام الملقي ، ثقافتنا في مواجهة الانفتاح الحضاري (السعودية ، دار الشرار لنشر والتوزيع١٩٩٥) .
١٨. السيد يسن ، نحو خطة قومية للحوار مع الثقافات الأخرى ، مؤلف جماعي ، الثقافة ووسائل نشرها في الوطن العربي (تونس ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : ١٩٩٤)
١٩. غوستاف لوبوف ، الآراء والمعتقدات ، ترجمة : عادل زعيتر (تونس ، دار المعارف للطباعة والنشر : ١٩٩٥)
٢٠. جيري وزنسكي ، تسوية الخلافات في العمل ، ط١(السعودية ، مكتبة جرير : ١٩٩٩)
٢١. حسن محمد حسن عماد ، الاغتراب (لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع: ١٩٩٥)
٢٢. مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة ، ترجمة عبد الصبور شاهين (دمشق ، دار الفكر :١٩٨٤)
٢٣. نحو التآلف والاتفاق:بناء علاقة إيجابية (القاهرة، الدار الدولية للنشر والتوزيع:١٩٩٣)
٢٤. مروان دويري ، الشخصية الثقافية والمجتمع العربي
٢٥. منير البعلبكي ، المورد ، ط٣٢ (بيروت ، دار العلم للملايين: ١٩٩٨).
٢٦. عصام الدين حسن ، حرية التعبير وحروب التكفير ، مجلة سواسية ، العدد ٣٤ سنة ٢٠٠٠.